## ... سلامٌ عليكَ يا خَيْرَ البريّة...

ولما بلغ الرسول ﷺ التاسعة والأربعين من عمره ، مات عمّه أبو طالب ، والذي كان يدافع عنه ويناصره ، علىٰ الرغم أنه بقي علىٰ دين آبائه وأجداده! .

وشاء الله تعالىٰ أن تموت السيدة خديجة رضي الله عنها بعد موت أبي طالبٍ بثلاثة أيام ، وكانت تناصره بمالها وجاهها .

فتوالىٰ الحزن علىٰ رسول الله ﷺ ، حتىٰ سُمّي ذلك العام بعام الحزن ، وعند ذلك اشتدت الأزمة وزاد تعذيب المشركين وحاولوا قتله صلوات الله عليه .

فانطلق الرسول ﷺ إلىٰ الطائف يدعوهم إلىٰ الإسلام ، لكن المشكلة أن أهل الطائف لم يكونوا أحسن حالاً من أهل مكة ، فلم يجيبوه ، بل أغروا به السفهاء والعبيد والأطفال ، فرجموه بالحجارة والأشواك ، وسبّوه ونادوه بألقابٍ سيئةٍ وبذيئة!! .

وقيل : لقد شُجّ رأسه ، وأُدميت قدماه ، ثم طُرد من الطائف .

ولما وصل إلىٰ أحد البساتين المحيطة بالطائف ، أسند الظهر الشريف إلىٰ حائطٍ ليرتاح قليلاً ، فهبط عليه جبريل ومعه ملك الجبال ، وقال له : إن أردتَ أن أطبق عليهم الأخشبين ـ أي : الجبلين المحيطين بمكة ـ لفعلت .

فقال نبيّ الرحمة صلوات الله عليه : «بل أرجو أن يُخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً»[1] .

---

(١) صحيح البخاري : (٣٢٣١) ، صحيح مسلم : (١٧٩٥) .

ولما انصرف عن أهل الطائف، مرّ في طريقه بعتبة وشيبة ابني ربيعة وهما في حائطٍ لهما، فلما رأيا ما لقي تحرّكت له رحمهما، فبعثا له مع عداس النصراني ـ غلامهما ـ عنقود عنب ، فلما وضعه الغلام بين يديه ، قال: «بسم الله» ثم أكل ، فقال عدّاس: والله إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلدة ، فقال الرسول ﷺ: «من أيّ البلاد أنت ، وما دينك؟» قال: نصراني من مدينة نينوىٰ ، فقال: «من قرية الرجل الصالح يونس بن متىٰ؟» قال: وما يدريك؟ قال: «ذاك أخي ، وهو نبيّ مثلي»، فأكبّ عدّاس علىٰ يديه ورأسه ورجليه يقبّلها، وأسلم[1].

**نعم يا حبيب الله يا أحمد!**

لقد صبرت علىٰ أذىٰ قومك صبراً لا مثيل له ، فكنتَ الرحمة المهداة للعالمين:

الحمد لله منّا باعث الرسل ... هدى بأحمد منا أحمد السُّبلِ
خير البرية من بدوٍ ومن حضرٍ ... وأكرم الخلق من حافٍ ومُنتعلِ

* * *

(١) سيرة ابن هشام: ١/ ٤٢١.